شواذّ الخَلْق

المراد بشواذّ الخلق كل ما شذّ عن المألوف في نوعهِ بزيادةٍ او نقص في اعضآئهِ او اختلافٍ في بعض اشكالهِ او تخاذُل في خلقتهِ وهو ان لا يكون بعض اعضآئهِ مناسباً لبعض او غرابةٍ في منظرهِ بأن يتجاوز الحدّ في الضخامة او الدمامة الى غير ذلك مما سيُذكَر. ولم نجد في اللغة لفظاً يعبر بهِ عن هذا الضرب من المخلوقات ولعل اقرب ما تسمَّى بهِ الهُوَل بضمّ ففتح جمع هَوْلة بالضم والاسكان وهي كل ما هالك او ما كان كريه المنظر يقال ما هو الا هُولةٌ من الهَوَل. وكلا المعنيين يوافق معنى اللفظ المستعمل لهُ في لغات اوربا[1] فانهُ يراد بهِ كل ما كان مخيفاً او قبيح الشكل تشبيهاً لهُ بالخلائق المذكورة لما فيها من البشاعة الناشئة عن غرابة منظرها ولانها كانت فيما سلف داعية عندهم للخوف اذ كانوا يحتسبونها من الخوارق السماوية المنذرة بضروبٍ من الويل

وقد طالما كان امر هذا الشذوذ شغلاً شاغلاً للحكمآء والطبيعيين فخبط فيهِ علمآء العصور المتوسطة ومن يليهم الى القرن الثامن عشر خبطاً غريباً وركبوا كل مركبٍ من التخرُّصات المحاليّة وادخلوا تحتهُ كل غريبٍ من الخلائق الوهمية كرجلٍ برأس كلب او جسم فيل او غير ذلك مما تصوّرهُ

(١) المراد بهذه اللغات ما كان منها مشاركاً للاتينية كالفرنسوية والانكليزية فان هذا اللفظ فيها monstre او monster ومعناهُ في الاصل اللاتيني الكاشف او المعلن وذلك لما ينذر بهِ من السوء على ما سيذكر

المتخيلة ولهم في تعليل هذه الخلائق ما لا يُحصَى من الاقاويل الخُرافية . وقد كان اليونان والرومان فيما مضى يوجبون قتل كل طفلٍ يولد على غير الخلقة الطبيعية تشآؤماً به وتفادياً من الشرّ الذي ينذر بهِ ولبث ذلك في عامّة اوربا الى القرن السابع عشر . غير ان ريُولان احد الاطبآء الفرنسويين في ذلك العصر ارتأى ان يُجتزأ عن قتل الأَعنش وهو الذي لهُ ست اصابع وصاحب الرأس الفاحش الكبر ومن ينشأ جبّاراً او نُغاشيًّا بأن يُعزَلوا الى موضع منفرد يكونون فيهِ محجوبين عن أبصار الناظرين

واول من تكلم في هذا البحث كلاماً معقولاً هو الدكتور هَلَّر من اهل سويسرا في كتابٍ نشرهُ سنة ١٧٦٨ افاض فيهِ في الكلام على الشذوذ الخَلْقيّ فوصف انواع هذا الشذوذ وصفاً علميًّا وميّز بين الحقائق والاوهام التي كانت شائعةً في ايامهِ ثم تبعهُ فلاسفة اهل التشريح فجزموا بأن الطبيعة تعنو في كل شيءٍ للنواميس المطلقة التي وضعها الخالق فلا تخرج عنها بحال واثبتوا ان كل ما يُعتبَر في ظاهرهِ شذوذاً عن تلك النواميس هو في الحقيقة منطبقٌ عليها وراجعٌ اليها وانما يُعَدّ شذوذاً بالقياس الى المألوف لا سوى

وقد قسم ايزيدُور جُفْرُوآ سَنْتيلاّر الشذوذ الى اربعة انواع اولها الشذوذ البسيط وهو ما كان في عضو واحد او جهاز واحد او حالةٍ واحدة من احوال التركيب . وهو قد لا يعوق شيئاً من الوظائف الحيوية وحينئذٍ فهو يقوّم صنفاً من اصناف النوع كالعَنَش مثلاً وقد يمنع من تمام بعض الوظائف او يكون سبباً للزمانة وهذا يُعَدّ على الحقيقة من فلتات

الطبيعة كالحَنَف وهو انقلاب القَدَم حتى يصير بطنهـا ظهراً وكالعاهة المعروفة بالقَدَم السُنبكيّة اي الشبيهة بالسُنبُك وهو طرف الحافر ونحو ذلك . والثاني الشذوذ المركّب وهو يتناول عدة اعضآء من الجسم في وقتٍ واحد ولكنهُ لا يمنع شيئًا من الوظائف لان شذوذ الجهاز الواحد يُصلِح شذوذ الآخر بحيث انهُ لو انفرد احدهما دون الآخر لم يستقم كيان الشخص وهو لايكون الا في الاعضآء الباطنة . وأول ما شوهد من هذا ما رآهُ مُورَنْد سنة ١٦٦٠ في رجلٍ من المصابين بالزمانة توفي بسنّ ٧٢ سنة فانهُ لما كشف عن باطن الجثة وُجِدت الكبد الى الشمال والطحال الى اليمين ووُجدت الرئتان والقلب والقناة الهضمية وجميع الاوعية والاعصاب المختصّة بتجاويف البنية مقلوبةً كذلك . والثالث الشذوذ المتداخل وهو في الغالب يُرَى من الظاهر ويكون باجتماع اعضآء الجنسين او بعض مميزاتهما في شخصٍ واحد . والرابع الشذوذ بحدّهِ وهو ما يشوّه الاشكال الظاهرة الى ما يخالف شكل بقية النوع وهو على الغالب يؤثّر على وظائف الاعضآء بحيث تتعذر الحياة في خارج جوف الأُمّ الا فيما ندر في احوالٍ مستثناة . وهذا الصنف على ضربين احدهما الشذوذ المفرد وهو ما كان في شخصٍ واحد والثاني الشذوذ المتعدد وهو ما كان فيما فوق الواحد

فالمفرد قد يكون صاحبهُ تامّ الخلق الاّ انهُ يكون متخاذل الاعضآء وقد تنقص بعض اعضآئهِ رأسًا . فمن النوع الاول من تكون اطرافهُ في غاية القصر بحيث تكون اليدان او الرجلان كانهما خارجتان من الجذع توًّا على شكل الفُقمة ولذلك يسمى بالفُقميّ . ومنهم من يكون الدماغ فيهِ

مشوّهًا غير كامل وقد يكون كلهُ أو بعضهُ موضوعاً في خارج التجويف الجمجميّ اما الى الورآء في جهة القذال او الى الاعلى في قمّة الجمجمة فيكون جدارها الاعلى غير كامل وهؤلآء يموتون على الغالب بعد مولدهم بعدّة دقائق وقد يعيشون بضعة أيام . ومن النوع الثاني من تكون بعض اطرافهم بالحجم الطبيعي ولا سيما العَضُد والفخذ وتكون الذراع والساق اشبه بجِذْمةٍ وهي بقية العضو المقطوع لا كفّ لها ولا قدم لكن يكون لها اصبع او بعض أصابع ناقصة التكوين . ومنهم من يكون بغير يدين أو بغير رجلين واشهر من ذُكِرَ من هؤلآء ذُوكُرْنَاي المصوّر من أهل القرن الماضي فانهُ كان بلا يدين فكان يستخدم رجليهِ للقبض على قلم التصوير ولهُ عدّة صور مشهورة لا تزال محفوظة في بعض حواضر اوربا . وقد ورد من اشهر قليلة على هذه العاصمة فتاةٌ حلبية المولد يداها في نهاية القصر بحيث لم يكن لها الاّ قطعةٌ من ذراع بغير عَضُد ولا مرفق ولها اصابع غير كاملة العدد ولا الحجم فكانت تستخدم رجليهـا في الخياطة والكنس وغسل الثياب وغير ذلك وتتناول بهما آلات الطعام من الملعقة والشوكة وتأكل بهما وتأخذ فنجان القهوة وكاس المآء فتشربهُ كذلك . اما بقية جسمها فكانت ذات بسطةٍ في النسآء ممتلئة الاعضآء جميلة الوجه طلقة اللسان . ومن هؤلآء من تتصل فيهم القائمتان من أعلى الى اسفل فتكونان رجلاً واحدة لكنها مزدوجة الرسم ولها قدمٌ واحدة ذات عشر اصابع وربما كان في موضع الرجلين رجلٌ واحدة في شكل وتد لا قدم لهـا . واما عيوب الرأس فمنهم من يولد بغير فك وقد ينقص منهُ جانبٌ كبير من

الوجه . ومنهم من يكون الانف فيهم شديد الضمور او لا حجم لهُ والعينـان غير كاملتي التكوين او تكونان مرسومتين رسماً فقط قريبتين احداهما من الاخرى او مختلطتين في مكان الخط المتوسط بينهما فيكون لهما وقبٌ واحد ويكون الدماغ اصغر من المألوف وليس لهُ لفائف متميزة والجمجمة ضامرة متقـاربة الجدارين الجانبيين او متلاصقتهما وهؤلآء يولدون احيآءً ولكن حياةً غير كاملة ويموتون سريعاً . وانواع الشذوذ من هذا الضرب كثيرة وغالبها يعبَّر عنهُ بالالفاظ التشريحية فنقتصر منها على هذا القدر (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

ولما رأى الوازعون والمشترعون ان كثيراً من الأُسَر تقضي ايامها في البؤس والشقآء على ما مرَّ بنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب وذلك اما لتنافرٍ سببهُ بعض الحوادث يتعذر اصلاحهُ وتلافيهِ او لاختـلاف جوهريٍّ في الطباع والاوضاع . اخذوا يسنُّون شرائع من شأنها ان تجعل حلاًّ لعقدة الزواج في مثل هذه الحالات تذرعًا لانقاذ أولئك المتعبين من شقآئهم ونغصهم الدائمين وأُبيح لكل من الزوجين طلب الفراق الوقتي او الطلاق البات امام المحاكم عند ما تكون لهُ اسبابٌ عادلة

وعلى هذا النمط تحولت الاحوال المعاشية والحيـاة الاجتماعية الى صورةٍ اعادت الى المرأة كثيراً من حقوقها ونقلتها من ربقة العبودية الى